المنظومة القبلية في الأوراس
من الكيان النوميدي إلى مقاومة الاحتلال الروماني

أ. حفيظة لعياضي*

مقدمة: شهدت بلاد المغرب القديم على غرار المجتمعات القديمة نظاما قبليا منذ فجر التاريخ واستمر عبر مختلف عصوره التاريخية، وإن كانت منطقة الأوراس جزء جغرافيا من الكيان السياسي الذي طبع الجزائر قديما فيما عرف بمملكة نوميديا، فإننا نود بهذه الدراسة معرفة المنظومة القبلية التي رسمت تاريخ الأوراس قديما من خلال أصولها في أقدم المصادر، وصولا إلى الكشف عنها في المرحلة النوميدية، ثم تتبع دورها خلال فترة الاحتلال الروماني، وإن كانت أسماء مثل النوميد، الجيتول، والموزولام تصادفنا كثيرا ونحن نبحث عن تاريخ مقاومة الاحتلال الروماني في الأوراس، فيحق لنا التساؤل فيما إن كانت هناك فروقات بين هذه القبائل وعن الأساس الذي بنيت عليه منظومتها؟

ذلك أن للقبيلة بمفهومها العام المتمثل في كيان اجتماعي قائم على مجموعة أسر متحدة بوشائج القرابة والدم والمصاهرة بإمكانه أن يتعزز بالمساكنة والمشاركة في مختلف النشاطات الاقتصادية[1]، مفهوما خاصا في بلاد المغرب القديم، فهي مجموعة من العائلات التي تنتهي بالذكور إلى جد مشترك (agnats) أو الأغنية (الإقليد)، نجدها في النصوص اللاتينية باسم «gens» أي عشيرة رغم أن الرومان استعملوا هذا المصطلح بمفهوم القبيلة[2] (tribus). ففي النصوص الإغريقية واللاتينية إشارة إلى مجموعات قبلية عدة في بلاد المغرب القديم، الذي يكون قد وصل إلى هذا الشكل من التنظيم على امتداد مراحل تاريخية طويلة نتيجة تراكمات اجتماعية في السلم والحرب جعلت من القبيلة جسما متحركا، حيث نلاحظ توزع عشائر القبيلة الواحدة في مختلف الجهات، فكانت حركة القبائل بذلك أداة للدمج الاجتماعي، لكنها لم ترسم حدودا ثقافية أو اجتماعية أو دينية بينها رغم وجود حدود سياسية في بعض مراحل تاريخها[3].

*أستاذة مساعدة أ في التاريخ القديم- شعبة التاريخ- قسم العلوم الإنسانية- جامعة محمد بوضياف- المسيلة.

فالاحتلال الأجنبي اقتضى تحالفات سياسية بين القبائل قد تحرك الحدود بين منطقتين دون أن تكون الشروط الفيزيائية قد تغيرت، فلا توجد حدود بين السكان ونمط المعيشة وإنما هناك فرق في أنماط الحياة المرتبط أساسا بالاختلاف بين الأراضي المسقية التي يمكن الاستقرار بها والزراعة، والأراضي الغير مسقية أين يصبح التنقل منها أمرا ضروريا[4]. وعلى هذا الأساس نجد القبائل في بلاد المغرب القديم عامة قد انقسمت إلى مستقرين بالسهول الساحلية والتلال وكذا بعض الكتل الجبلية مثل الأطلس الأعلى، جبال الريف، الأطلس التلي وجبال الأوراس والظهرة التونسية، وكبار الرحل في التخوم الشمالية للصحراء، إضافة إلى شبه الرحل للهضاب العليا، السهول الأطلسية وأغلبية تونس الوسطى، بالإضافة إلى الجبليين المتنقلين بين الأطلس الأعلى، الأطلس المتوسط والأوراس[5]، ومن هنا يمكننا أن نحدد القبائل التي عاشت بالكتلة الأوراسية قديما مابين مستقرين مزارعين، وجبليين رعاة، وربما قد عاش بها أشباه الرحل أيضا.

حتمت هذه الضروريات المتعلقة بالحياة الرعوية أو الزراعية نشوء مجموعات أوسع من العائلة الأغنية (الإقليد)، فالبدو يتحدون للحفاظ عبى الأراضي التي يمرون منها، والمزارعون بدورهم يشيدون القرى لصد هجومات أعدائهم من البدو الرعاة[6]، ومن فوق العائلات الأغنية ومجموع العائلات الرعوية وجمهوريات القرى توجد القبائل التي تمثل دويلات صغيرة وحدت صفوفها للدفاع أو الهجوم[7]، فانتظمت في ما سمي بالتحالف القبلي (كونفدرالية قبائل)، الذي نقل بلاد المغرب القديم إلى مفهوم الدولة في شكلها الملكي، تكون الزعامة القبلية قد تحولت مع هذه النقلة إلى أسر ملكية تسلسل منها الملوك النوميد، مثلما حدث مع قبائل المور والنوميد في فترة الاستقلال[8]، وقبائل الموزولام مع نهاية الفترة النوميدية التي اعتبرها كامس كونفدرالية قبائل لعبت دورا مهما في وجه الاحتلال الروماني[9].

هذه المنظومة القبلية القائمة على نمط المعيشة أشارت إليها أقدم النصوص الإغريقية عندما تحدث هيرودوت أولا عن قبائل رحل في المنطقة الساحلية من شرق مصر إلى غاية الأوسيس (Auses) قرب نهر تريتون[10]، "وإلى الغرب من نهر تريتون، وبعد موطن الأوسيس تبدأ بلاد الليبيين الذين يفلحون الأرض ويقتنون البيوت وهم يدعون الماكسوس[11] (Maxyes)"، أما الكتاب المعاصرون للعهد الروماني فقد قسموا السكان الأهالي تقسيما سياسيا أو إداريا بالاعتماد

على الأوضاع الناجمة من التغيرات السياسية خلال الاحتلال الروماني، لكن هذا المنطلق لم يبعد الشروط الجغرافية المتحكمة في أنماط المعيشة. وأهم المجموعات التي تردد ذكرها في النصوص الأدبية والنقوش الأثرية الخاصة بمنطقة الأوراس[12]، والتي سماها كامس بالبربرية الشرقية (باستثناء إقليم قرطاج) ابتداء من الوادي الكبير غربا (لامبساقا) حيث خصه بالنوميد الماسيل كمستقرين، وجيتول متنقلين بين السهوب والمناطق الصحراوية[13]، وقبائل الموزولامي الضاربة في بلاد النوميد والجيتول. كما توجد قبائل أخرى وإن تفاوت دورها السياسي بالأوراس، إلا أن النصوص القديمة قد أشارت إليها مثلما هو الحال مع بلين الكبير[14]، الذي ذكر أسماء قبائل كل من الناتابود (Natabudes) (غربي طبرسقة النوميدية)، الكابسيتاني (Capsitanie) (قفصة)، الميزولاني (Musulani) (واد الموثول)، ثم ذكر بعدها الزبربر (Sabarbares)، الماسيل (Massyli) والنيسيف (Nicives)[15]. فالزبربر سمحت النقوش بتحديد إقليمهم مابين سيرتا وكويكول في منطقة تاجنانت[16]، والنيسيف إلى الجنوب من هؤلاء مابين شط البيضاء وجبال باتنة، غير أن اكتشاف نص إهدائي في كنيسة بيزنطية يعود إلى سنتي 582-583م يشهد على وجودهم بـ"نقاوس"[17]، وهو ما أشار إليه ديزانج حيث أقر بوجود قبيلة النيسيف في وقت متأخر بمنطقة نقاوس على بضع كيلومترات غرب واد بريكة[18].

أما قبيلة الماسيل التي ذكرها بلين الكبير إلى جانب النيسيف، فقد حددها في مقاطعة أفريكا بين لامبساقا وبرقة، وبالضبط في شمال غرب الأوراس بالقرب من البحيرة الملكية (Lacus Regius) مع ماسمي بالمدغاسن، الضريح الملكي الذي يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد[19]، وهي عموما تدخل في مضمون الشعوب التي سماها بطليموس سيرتية، من الاسم الذي يتبع التقسيم الاداري المتضمن إليه، حيث يفهم منه أيضا أنه جبل الأوراس[20]. هذه القبيلة التي لعبت دورا سياسيا بارزا في تشكيل مملكة الماسيل منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وسماها الإغريق والرومان بنوميديا الشرقية[21]، التي امتدت من الوادي الكبير إلى الإقليم القرطاجي على غرار قبائل المازيسيل الذين شكلوا إقليم نوميديا الغربية من لامبساقا إلى الملوية وأطلق على سكان هاتين المملكتين اسم النوميد.

فالنوميد ظهروا على خريطة المغرب السياسية على لسان مؤرخي القرن الثاني قبل الميلاد كشعب كبير ذي سيادة على أوسع رقعة، تمتد من الاقليم القرطاجي شرقا إلى نهر الملوية غربا، وقد وسع العاهل ماسينيسا من حدودها شرقا حتى بلغت خليج السرت الكبير قبيل وفاته سنة 148 ق.م، إلا أن تلك الحدود قد تراجعت على يد الرومان لاحقا. أما عن أصل تسمية النوميد فإنها كانت محل نقاش كبير بين المؤرخين، لأن أقدم نص والمتمثل في رواية هيرودوت لا يورد بأن مجموعة من الليبيين كانت تحمل اسم نوميد، لكنه يورد لفظ "نوماد" (Nomad) الدال على البداوة، وقد عنى جميع الليبيين الممتهنين للرعي أي البدو. وربما كان نتيجة تناظر التسمية الليبية- الفينيقية بالإغريقية- اللاتينية لاحقا[22]، والدليل أن سترابون الإغريقي لم يفرق بين كلمتي "نوميد" و"نوماد"، حيث اعتقد أن النوميد تسموا كذلك لأنهم كانوا بدوا منعتهم الحيوانات الضارية من زراعة أراضيهم[23]. وكذلك الأمر بالنسبة للمؤرخين اللاتين مثل بلين القديم الذي يقول بأن النوميد تسموا "نوماد" لأنهم يغيرون أماكن الرعي ناقلين معهم مساكنهم على عربات[24]، وسالوست الذي شرح أسباب تحول هذه المجموعة من السكان المدعوين بالنوميد إلى حياة البداوة ، ويرجع أصول النوميد إلى أن إفريقيا قديما كانت مأهولة من طرف الجيتول والليبيين، وقد اختلط الفرس القادمين من جيش هرقل والنازلين على الشواطئ الشمالية لموريطانيا الغربية، اختلطوا مع الجيتول وأعطوا النوماد[25].

هذا التضارب في مفهوم أصل كلمة نوميد من خلال المصادر، جعل الباحثون يتجهون إلى النقوش الأثرية بغية الوصول إلى مفهوم دقيق لها، إذ نجد في أقدم تلك النقوش المزدوجة اللغة (ليبية-بونيقية أو بونيقية-لاتينية) بأن أصل التسمية محلي أو سامي، لكن النقوش اللاتينية غنية بأسماء الأشخاص المنتمين لهذا الشعب، حيث احتفظت بعض المناطق بقبائل تسمت باسمه. وقد قلص الرومان المحتوى السياسي للشعب النوميدي وأزالوا عنه مفهوم الامة المتميزة، حيث احتفظوا بالتسمية الادارية للإقليم الجغرافي النوميدي الذي كونوا منه ولاية رومانية متغيرة الحدود[26]، وحصروا عبارة نوميد في قبيلة "تبورسيكونوميداروم"[27]. هذه الأخيرة تجسد رابطا ضيقا بين المدينة ومصطلح النوميد (Numidae) حسب قزال، لأنها لا تعني شعب النوميد الكبير ولكن قبيلة نوميدة (la gens Numidarum) التي كانت مستقرة في منطقة طبرسقة (خميسة)، ذلك أن لفظ «gens»

الذي عثر عليه بالنقوش الغربية من خميسة يحمل معنى قبيلة، وهو يدل على أن كلمة "نوميدة" (Numidae) يعني إقليم هذه القبيلة وليس الحيز الذي يسكنه شعب النوميد ككل. فقد يكون وجود كلمة «Numidarum gens» في منطقة خميسة راجع إلى أنها كانت في الأصل قبيلة كبيرة أعطت اسمها لهذا الشعب[28].

هذا ويمكننا الإشارة إلى أن مصطلح النوميد الدال على شعب وليس على قبيلة محلدة، والذي برز دوره أكثر خلال فترة نوميديا المستقلة، وبحكم نمط عيشه القائم على الاستقرار والزراعة، نجد بأن الإقليد ماسينيسا قد ساهم لا في تمدين النوميد وتعليمهم الزراعة كما قال ستزابون، ولكن في تشجيع الزراعة أكثر وحماية أراضي النوميد من قطعان الرعاة المنتجعة على طول سباسب السهول العليا بما فيها منطقة الأوراس، والذين تمثلوا في قبائل الجيتول. ذلك أن الجيتول قد ساهموا بدورهم في بناء المنظومة القبلية لمنطقة الأوراس، لأنهم ثالث الشعوب التي عمرت الشمال الإفريقي قديما بعد النوميد والمور، حيث أشارت النصوص إلى تواجدهم في المغرب والجزائر وتونس في نفس الوقت، وانطلاقا من خط عرض معين يحمل الليبيون تلقائيا هذا الاسم. ولأننا لا نجد في نص هيرودوت ذكرا لاسم الجيتول[29]، فهذا يعني ظهوره في وقت لاحق خاصة في المصادر اللاتينية[30]، إذ يعتبر سالوست أقدم مؤرخ ذكرهم كجزء من شعوب إفريقيا وأنهم كونوا شعب النوميد بالاختلاط مع الفرس القادمين من جيش هرقل[31]. إضافة إلى ستزابون الذي حدد الجيتول (Gaetules) بالشعوب المتموضعة أسفل النيقريس[32](Nigrites).

فهذه الإشارة العائدة إلى القرن الثاني قبل الميلاد الدالة على مجموعة قبلية لكنها لا تمثل عرقا متميزا، ذلك أنه ليس لكلمة جيتول مدلول سياسي ولا اثني لأنهم رحل يجوبون المنطقة الواسعة الممتدة من جنوب الأطلس المغربي إلى غاية السرتين الكبرى والصغرى[33]، أو شبه رحل يستقرون على النخوم النوميدية- الافريقية خلال العهد الروماني[34]، فهم قبائل مختلطة مع النوميد والمور. إذن الجيتول هي تسمية تمتد جغرافيتها من السهول الشمالية إلى السلاسل الجبلية التي تحدها من ناحية الجنوب، ففي شرق نوميديا نجد حدود الجيتول الشمالية تعبر بمساحة قليلة جنوب قسنطينة، وكانت متجاورة مع مداوروش (سوق أهراس وتبسة)، كما ونجد في المنتصف واد نقريس (Nigris) يفصل جيتوليا عن إثيوبيا، وهو واد جدي[35]. ويمكننا القول أن قبائل الجيتول ولو لم يكونوا ممالك

حقيقية فإنهم دخلوا بقسم كبير في مملكة نوميديا، وبالتالي مثلوا عنصرا بشريا مهما من الأوراس قديما.

إذ يمكننا إثبات ذلك من خلال المناطق التي كانوا ينتجعون فيها، فنمط المعيشة وحده أعطى للقدامى إمكانية تمييز النوميد والمور عن الجيتول والغرامنت، فالأولان يسكنان التل بالتأكيد أين يمكن لهم الزراعة، والأخيران ينتجعان في السهوب والمناطق الصحراوية[36]، وإذا كان بعض الجيتول قد جمعوا بين تربية الحيوان والزراعة، أي أنهم كانوا من أنصاف البدو، فإن الأغلبية منهم كانت من كبار البدو، حيث كانوا ينتجعون بالقرب من مداوروش (Madauros)، ولذلك خاطب أبوليوس(Lucius appulius) سكان بلدته بعبارة "أهلي النوميد، أهلي الجيتول"، وهي العبارة التي أكد الباحثون أنها تفيد بأن الجيتول والنوميد شعب واحد يختلف في نمط المعيشة لا غير، فقد كانت الكتلة الأوراسية مابين تبسة والحضنة منطقة تعايش بينهما[37].

وإذا كان جيتول الأوراس لم يكونوا دولة فإنهم ناصروا ماسينيسا أولا في استرجاع عرشه ومملكته، ثم مثلوا جزء مهما من جيش يوغرطة فيما بعد في ثورته ضد الاحتلال الروماني[38]. وبعد الاحتلال الروماني لبلاد المغرب ظلوا يشكلون خطرا عليهم، لأن السلطة الرومانية تجاهلت نمط عيش الجيتول (البداوة)، باعتبارهم مربون يلعبون دورا اقتصاديا مهما، تمثل تنقلاتهم حلقة وصل أساسية بين المستقرين في الواحات وأولئك في التل، وإذا علمنا بأن التنقل الفصلي لقطعان الماشية بسبب الحاجة للمراعي والكلأ، فسنفهم بأن كل حاجز في وجه تلك التحركات سيكون له رد فعل شديد. إذ نجد بأنه إلى جانب الحواجز الطبيعية المتمثلة في السلاسل الجبلية كالأوراس، وأن هناك وديانا دائمة الجريان تصعب التنقل على الجيتول، فإن الرومان أضافوا حواجز أخرى صارمة، كما أنهم أدخلوا بحوزتهم بعض المناطق المقتطعة من البدو (الجيتول) وحولوها إلى أراضي زراعية، فهذه القبائل المنتزعة الملكية والمحرومة من استعمال طرقها التقليدية ستثور ولا شك في وجه تلك الحواجز المتمثلة خاصة في الليمس[39] الذي وضعه الرومان.

وبإلقاء نظرة على سلاسل هذا الخط، نجد بأنه خلال القرن الأول ميلادي قد تحدى الجبال، حيث ابتداء من لبدة (Lepcis) امتد على طول السرت حتى قابس ثم انحرف غربا نحو قفصة، واستمر إلى غاية تبسة وامتد على طول الحاشية الشمالية للأوراس وجبال الحضنة، ثم بعدها على

طول وادي الشلف[40]. ثم نقل الليمس في القرن الثالث ميلادي إلى الحاشية الجنوبية للكتل حيث أخق النمامشة والأوراس، أين نجد روما تنقل معسكر الكتيبة في عهد تراجانوس من تبسة إلى لمباز (Lambaesis) الكائنة على بعد 170 كم غربي تبسة، ويدل ذلك على حرص شديد في مراقبة قبائل الأوراس، وكذلك نجد تأسيس قلعة إدماجورس Ad Major-Thabudeos (هنشير بسرباني) سنة 105 م دليلا آخر على ذلك، حيث أصبح جبل الأوراس محاطا بشبكة استراتيجية مكتملة التحصينات[41].

وإن كنا لا نملك معطيات كثيرة عن ثورات الجيتول في منطقة الأوراس بشكل خاص، والتي أعقبت إنشاء خطي الليمس، إلا أننا نجد في الوثائق القديمة بأن الجيتول رفضوا الاحتلال الروماني منذ البداية، حيث أعلنوا الثورة غداة تنصيب يوبا الثاني على موريطانيا في عهد أغسطس أواخر القرن الأول قبل الميلاد[42]. إذ يذكر ديون كاسيوس بأن قبائل الجيتول الحنقة على يوبا الثاني والمتمردة على روما قد عاثت في الأرض فسادا وقتلت عددا من الرومان[43]، فتجاوزت ثورتها حدود موريطانيا ووصلت حتى سرت الصغرى والكبرى، حيث تحالفت مع عدة قبائل منها الغرامنت والموزولام. ومجمل ما يمكن قوله عن ثورات الجيتول عامة في وجه الرومان، أنه كلما حاول الرومان قطع مرحلة جديدة في بسط نفوذهم اصطدموا بثورات بالغة الأهمية، حيث اضطروا إلى شن حملاتهم دون انقطاع[44]. هذا عن الجيتول، أما عن أشهر القبائل التي رسمت تاريخ الأوراس قديما إلى جانب النيسيف، النوميد والجيتول فيمكننا أن نشير إلى الموزولام.

فالموزولام (Musulami أو Musulani) لم نجد أي إشارة عنهم قبل بلين القديم الذي وضعهم في مقاطعة أفريكا (Africa) بدون تحديد آخر[45]، فهم حسب كامس كونفدرالية قبائل[46] ذاع صيتها مع ثورة تكفاريناس، لكن تشكلها كان سابقا لعهد الامبراطور "تيبريوس"، فقد كانت موجودة في عهد الملوك النوميد، ومع أن اسمها لم يرد في نص سالوست إلا أن وقائع عديدة من حرب يوغرطة جرت في إقليمها بدليل ما ذكره سالوست: "...ولدى هؤلاء الموزولام وجد يوغرطة أوفى الأوفياء..."[47].

كان الموزولامي يشغلون الهضاب العليا الممتدة بجوار تبسة، من قالمة وخميسة شمالا إلى غاية تالة (Thala) غربا[48]، فقد كان الجزء الأكبر من إقليم هذا الشعب وإلى غاية القرن الأول

الميلادي متمحور في واد الموثول (Muthul) (واد ملاق)[49]. فامتد إقليم الموزولام بذلك في منطقة الأوراس من سوق أهراس إلى ما وراء النمامشة جنوبا، ولكنهم فقدوا جزء مهما من أراضيهم بعد ثورة تكفاريناس ولم يبق الرومان لهم إلا على قسم من أراضيها تمكن الأثريون من الكشف عن معالمه مابين ماسكولة (خنشلة) وتيفست (تبسة)[50]، حيث وجدت نقوش في مداوروش تعود إلى عهد الامبراطور " تراجان"، وكذلك في عين كملال (Ain Kamellel) تقريبا في نصف المسافة بين تبسة و خنشلة، وفي قصر البوم على بعد 20 كم جنوب غرب تبسة[51]، وكذا في خنقة ناصر على بعد 14 كم شرق هذه المدينة، وأيضا في قلعة الصنم (Kalaa-es-senam) شمال حيدرة (Ammaedara)، وفي سنة 138 م كان هناك مجال بين "تالة" و"سبيطلة" في «Regiome Beguensi» مثل جزء من إقليمهم[52].

ويستنتج من الإقليم الذي شغلته قبائل الموزولام منذ القديم أنهم كانوا شبه رحل في نمط معيشتهم، فرغم أن بعض الباحثين يصنفهم على أنهم جيتول (رحل)، متلما فعل قزال وهو اعتماد ظني على نص أبوليوس الذي يقول فيه أنه نصف نوميدي نصف جيتولي، والمعروف أن حدود إقليم الموزولام خلال العهد الامبراطوري تمر على مقربة من المادار بما لا يزيد عن 4 كم، وأن أبوليوس ذكر بأن هذه المدينة تقع في التخوم النوميدية الجيتولية. وقد كان من المغري إجراء مقاربة في هذا الشأن حسب كامس، لكن لا تاكيتوس ولا أي مؤرخ آخر عالج موضوع الموزولام وقال أنهم جيتول، ولا يمكن أن يكون قد استخدم هذا الاسم في معنى عام لأنه يميز بدقة النوميد (الموزولام) تحت قيادة تكفاريناس عن المور بقيادة مازيبا، وعن الغرامنت في الأخير، أما بول أوروس فقد ذكر في ذات الجملة الموزولام والجيتول، مما يبين أنه يميز في ذهنه بين الموزولام والجيتول. ومن جهة أخرى، يأخذنا كامس للتدليل على طرحه معتمدا على المعطيات الأثرية التي لا تسمح بإظهار أي فرق في نمط المعيشة مابين البلاد الواقعة بين مجردة وخليج عنابة (زراعية) من جهة، وتلكم الواقعة مابين المجردة وجبال تبسة، لأن مقابر قسطل وجبل مستيري ترجع لسكان مزارعين مستقرين وليسوا من الرعاة الرحل، ولو كان الموزولام من الجيتول ينبغي الاقرار بأن جزء منهم لم يكن أبدا من الرحل[53]. فهم إذن أشباه رحل تمحورت تنقلاتهم على طول الواد الأوسط والأعلى لمجرى الموثول[54]، حيث كانت هذه القبائل تقضي الشتاء جنوب تبسة ناحية نقرين، والصيف

تصعد إلى الموثول[55]. لذا فإن بناء الرومان لطريق عسكري يربط بين حيدرة- قابس عن طريق قفصة، منع الموزولام من الاستمرار في تنقلاتهم الفصلية، بالإضافة إلى مصادرة أراضيهم وهو الأمر الذي قادهم إلى إعلان الثورة[56] بقيادة تكفاريناس، حيث قهرت ثورتهم على عهد تيبريوس الجيوش الرومانية لمدة سبع سنوات، وامتدت من موريطانيا غربا إلى سرت الصغرى شرقا[57]. إذ يورد تاكيتوس في حولياته أن تكفاريناس قد عمل في صفوف الجيش الروماني قبل أن يفر منه ويعلن الثورة، متبعا أساليب الرومان في البداية[58]، ولن يسعنا هذا البحث في إبراز تفاصيل هذه الثورة، لكننا سنكتفي بالإشارة إلى أهم مراحلها.

فإن كانت مرحلة اندلاع الثورة (17-20 م) التي اعتمد فيها تكفاريناس على أسلوب روماني نظامي، وكلف "مازيبا" حليفه وقائد قبائل المور بإتباع أسلوب الكر والفر، فأسفرت عن هزيمة تكفاريناس من قبل بروقنصل إفريقيا عام 17م، وهو "فيريوس كاميلوس" بضواحي وادي الموثول، مما أدى إلى تغيير تكفاريناس لأسلوبه بعدها، واستمرار معاركه مابين 18-20م، حيث دعت شدتها إلى استقدام الرومان للفرقة الاسبانية التاسعة، فإن المرحلة القوية للثورة مابين (20-23م) قد جعلت نطاقها يتسع، أين عمل تكفاريناس خلالها على مهاجمة الحصون والقلاع لضمان الغنائم وتغييره المستمر لتكتيك الحرب، ثم انضمام قبائل المغرامنت لثورته، مما وفر فرقا مساعدة لها، كما وفر مركزا خلفيا آمنا.

لكن هذا النجاح لم يدم طويلا، إذ وبنقل تكفاريناس لعملياته نحو الغرب ولجوء التنصل "دولابيلا" إلى حرب العصابات لمحاصرة تكفاريناس، جعل هذا الأخير يسقط في "أوزيا" وتنتهي هذه المقاومة معه[59]. لكن هذا لا يعني انطفاء شعلة المقاومة للموزولامية نهائيا في الأوراس الروماني، لأننا نجد بأنه في سنة 45م قد هزم الموزولام مجددا من طرف «Ser. Sulpicius. Galba» ، وخضوعهم للسلالة الفلافية بدمجهم في الجيش الروماني في فرقة سميت:

«les cohortes Flavien Musulamiorum»[60].

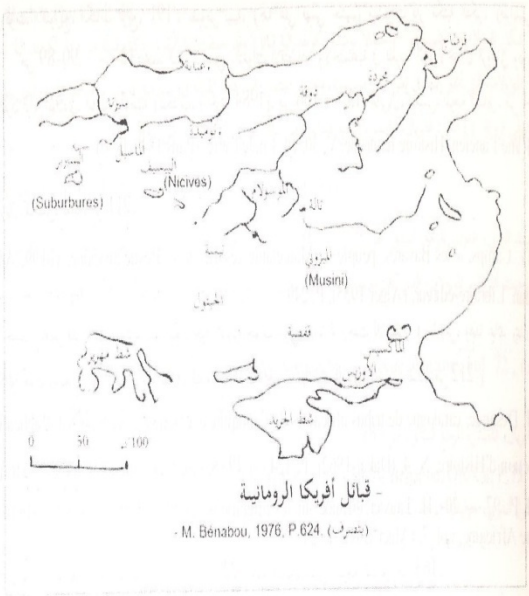

- قبائل أفريكا الرومانية

- M. Benabou, 1976, P. 624. (بتصرف)

كما لا يعني هذا عدم استمرار مقاومات أخرى بمنطقة الأوراس أو غيرها على طول فترة الاحتلال الروماني أو ما تبعه من احتلال وندالي أو بيزنطي، ولكن تلك كانت أهم القبائل التي شكلت المنظومة القبلية في الأوراس، فمستقرون مزارعون،أو بدو رعاة، نوميد أو نيسيف أو جيتولا كانوا أو موزولاما، كل منهم ساهم بطريقة أو بأخرى في بناء الكيان الحضاري لمملكة نوميديا، ومثل وجها بارزا لمقاومة وصمود أوراس بلاد المغرب القديم في وجه الاحتلال الروماني.

الهوامش:

1-محمد العربي، عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر 2008)، ص 168.

2-S. Gsell, Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, T. V. éd. Hachette, (Paris 1927), P. 55

3-محمد العربي، عقون، نفسه، ص 171.

4-M. Benabou, la résistance africaine à la romanisation, éd. Libraire François-Maspéro , (Paris1976), P. 70.--- 5-M. Rachet, Rome et les berbères, un problème militaire d'Auguste à Dioclétien, Collection Latomus, Vol. 110, (Bruxelles 1970), P. 26-27.

6-"إذا كانت الزراعة عموما وخاصة منها الأشجار المثمرة قد خلقت صداما حول الماء بين الحيوان للزراعين، وحول الأراضي الأكثر خصوبة، فإن الرعاة هم الأعداء التقليديون للمزارعين لأن البدو للتنقلين إزاديا دائما الاحتفاظ بالسهول التي ترسم بها الفلاحون حدودهم كمراعي للقتعاهم" (أنظر: S. Gsell, OP. Cit, P.62)---7-شارل أندري، جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج1، تعريب محمد مزالي والبشير وسلامة، الدار التونسية للنشر، (تونس 1969)، ص 81.---8-محمد العربي، عقون، المرجع السابق ص 169.

9-شاربال، كاميس، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق العربي عقون، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، (الجزائر 2008)، ص 306.

10-S. Gsell, Hérodote, textes relatifs à l'Histoire de l'Afrique, (Alger 1915), P.

11-هيرودوت، "التواريخ، الكتاب الرابع، 191"، نصوص ليبية، ترجمة علي فهمي خشيم، منشورات دار مكتبة الفكر، (طرابلس-ليبيا 1967)، ص 89-90. ---12-محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني وتوزعها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر 1984)، ص 156.---13-غابريال، كاميس، المرجع السابق، ص 184.

14-Pline l'ancien, Histoire naturelle, V, 30, éd. Emile Littré, (Paris 1848-1850)

15-غابريال، كاميس، نفسه، ص 211.

16-G. Camps, « les Bavares, peuple de Maurétanie césarienne », Revue africaine, vol.99, Adolphe jourdan. Libraire-éditeur, (Alger 1955), P. 249 .

17- " حسب كامبس فإن البيسيف كانوا يتموضعون بجوار الزوبير جنوب شرقي سيرتا ثم رحلت للاستقرار في تقاوس، وهذا عائد ربما إلى أن الأباطرة كانوا يحاولون باستمرار القبائل البربرية من أنصاف البدو نحو الغرب والجنوب" (أنظر: غابريال، كاميس، نفسه، ص 212.)

18-J. Desange, catalogue de tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil, Publication de la section d'Histoire, N. 4, (Dakar 1962), P. 124.--- 19-S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, P. 97.--- 20- H. Tauxier, «Etude sur les migrations des tribus berbères avant l'islamisme », Revue Africaine, vol. 7, (Alger 1863), P. 24

21- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 131. ---22- محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 163.

23-Strabon, Géographie,II.V,33, traduction française. Amédée Tardieu.--24-Pline l'ancien, Histoire naturelle, V.I.21 .--- 25-Salluste, la guerre contre Jugurtha, XVIII, éd. François Richard, 1933

26- محمد البشير، شنيتي، نفسه، ص 164.

27-« Thubursicu Numidarum أو طوبرسقة "وهو الاسم القديم لـ " خميسة" الواقعة على 32 كم جنوب غرب سوق أهراس، وعلى بعد 14كم شمال شرق سدراتة قرب رأس العلية". أنظر:

S. Gsell, genis numidarum, Khamissa. Madaourouche.Announa, éd. Adolphe Jourdan, (Alger 1914), P. 13.---- 28-S. Gsell, Op. Cit, P. 13

29-" يعتقد لباحث محمد العربي عقون أنه يمكن للتوينيبا أن تفيدنا في إجراء مقاربات لغوية لمعرفة أصل تسمية جيتول، لأننا كثيرا ما نجد قرية أو منطقة أو جبل تحمل اسم القبيلة أو العشيرة التي تسكنها، حيث يشير إلى اسم قرية في سفح جبل أوراس الجنوبي على واد عماش غير بعيد عن بسكرة تمثلا تحمل اسم قديمة (Gtidila) في منطقة هي أحد مواطن الجيتول" (أنظر: محمد العربي، عقون، المرجع السابق، ص 163.) ---

30-غابريال، كاميس، المرجع لسابق، ص 180.

31-Salluste, Guerre de Jugurtha, XVIII.--- 32-Strabon, Géographie, II, V, 33.--- 33-G. Camps, « les Bavares, peuple de Maurétanie césarienne », P. 249.--- 34-M. Rachet, Op. Cit, P. 28

35-S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, P. 110-111

36-غابريال، كاميس، المرجع لسابق، ص 183. ---37-محمد العربي، عقون، المرجع السابق، ص 164-165.

38-شارل أندري، جوليان، المرجع السابق، ص 160. ---39-" خطوط الليمس هي سلسلة قلاع محصنة موجهة لصد هجومات الرحل المتوقعة، حيث أن نقاط الحراسة تحاصر لكل الجبلية من الشمال والجنوب" (أنظر: G. Camps,Op. Cit, P. 283)

40-M. Bénabou, Op. Cit, P. 72

41-شارل أندري، جوليان، المرجع السابق، ص 186.

42-R. Cagnat, l'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Imprimerie national. E. Leroux, (Paris 1913), P. 4

43-" وهو يقصد هنا الثورة التي امتدت مابين 3-6م والتي أخمدت ثورة الغرامنت سنة 19 ق. م، حيث انتصر القائد كورنيليوس بالبوس على القبائل المتحالفة مع الغرامنت ضد يوبا الثاني وابنه بطليموس أي لجيتول" (أنظر:

Dion Cassius, Histoire romaine, LV, 28, traduit par E-Gros)

44-شارل أندري، جوليان، نفسه، ص ص 173، 177.

45-M. Rachet, Op. Cit, P. 38.

46-" شكل الموزولام مثل البيسيكير -واحتمالا نوميدة- كونفدرالية قبائل، وقد حفظت لنا النقوش ذكرى قبيلة من هذه الكونفدرالية هي قبيلة "نوبول" الموزولامية التي أشير إليها في نص أثري من تيمسة، ويحتمل استمرار اسم هذه القبيلة في اسم جبل نوميل اليوم وكذا الوادي الذي يحمل ذات الاسم شرقي قرياة") (أنظر: غابريال، كاميس، المرجع لسابق، ص 302.)---47-نفسه، ص 302.

48-R. Cagnat, Op. Cit, P. 5.---49-J. Desange, Op. Cit, P. 119.

50-محمد العربي، عقون، المرجع السابق، ص 179.---51-" حلال حكم "تراجان "كلف قائد القوة الثالثة بتحديد الأقاليم في منطقة تيمقست حيث أن إقليم الموزولامي الذي كان معروفا بشكل جيد عقب ثورته مع تكفاريناس قد أصبح محروسا منذ ذاك بمعسكرات تيمقست وجيدارة" (أنظر:

L. Leshi, recherches épigraphiques dans le pays des Nemenchas », Revue africaine, vol. 72 , (Alger 1931), P. 291.-- 52-J. Desange, Ibid, P. 120

53-غابريال، كاميس، المرجع لسابق، ص 183.

54-M. Rachet, Op. Cit, P. 38.--55-J. Desange, Op. Cit, P. 119.--- 56-M. Bénabou, Op. Cit, P.75.

57-شارل أندري، جوليان، المرجع السابق، ص 179.

58- Tacite, les Annales, II, 52.

59-محمد الهادي، حارش، "ثورة تاكفاريناس (17-24م)"، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة، (الجزائر 2001)، ص 59-62.

60-J. Dasange, Ibid.

Abstract

If the tribe was a very important part in ancient societies, it has played a real political, economic and social role in the Ancient Maghreb constitution, in which we find the types of tribal life are divided in relation to geographical causes to nomadic tribes and semi-nomadic mountain people, each of them kept a special type of life, stability and Agriculture on movement and pastoral life. And if the Aures as a part of the ancient Maghreb is populated by numides the Getulian and musulames or other tribes shared these guys back then Numidian kingdoms, therefore they rebelled against the Roman occupation all their forces and from the beginning facing the romanization that contracted their type of life or put obstacles against the system that the tribes are accustomed to before the Romans. These tribes then were an important element in the numide entity and the resistance of the ancient Aures against the Roman occupation.